

أمنُ تذكرِ جيرانِ بذي سلمٍ مزجتُ دمعا جَرَى من مقلّةِ بدم  
أمْ هبَّتِ الرِيحُ منْ تلقاءِ كاظمةٍ وأومضَ البرقُ في الظُّلَماءِ منِ اضم  
فما لعينيكِ إن قلتِ الكُففا همتنا وما لقلبكِ إن قلتِ استنقِ بهم  
أيحسبُ الصبُّ أنّ الحبَّ منكمُ ما بين منسجمٍ منه ومضطَّرمٍ  
لولا الهوى لم ترقِ دمعاً على طللٍ ولا أرقَّتِ لذكرِ البانِ والعلمِ  
فكيف تنكرِ حباً بعد ما شهدتْ به عليكِ عدولِ الدمعِ والسقمِ  
وأثبتِ الوجدُ خطيَّ عبرةٍ وضنئٍ مثلِ البهارِ على خديكِ والعنمِ  
نعمُ سرى طيفٌ منْ أهوى فأرقني والحبُّ يعترضُ اللذاتِ بالألمِ  
يا لائمي في الهوى العذري معذرةً مني إليكِ ولو أنصفتِ لم تلمِ  
عدنكُ حالي لا سِرِّي بمسـتترٍ عن الوشاةِ ولا دائي بمنحسمِ  
محضنتي النصحِ لكن لستِ أسمعُهُ إن المحبِّ عن العذالِ في صممِ  
إنى اتهمتِ نصيحَ الشيبِ في عدلٍ والشيبُ أبعُدُ في نصحِ عن التهمِ  
فإنَّ أمارتي بالسوءِ ما أتعظتُ من جهلها بنذيرِ الشيبِ والهزمِ  
ولا أعدتُ من الفعلِ الجميلِ قرى ضيفٍ ألم برأسي غيرَ محتشمِ  
لو كنتُ أعلمُ أني ما أقرُّه كنتُ سرّاً بدا لي منه بالكتمِ  
منْ لي بردٍ جماحٍ من غوايتها كما يُردُّ جماحُ الخيلِ بالألجمِ  
فلا ترمِ بالمعاصي كسرَ شهوتها إنَّ الطعامِ يقوي شهوةَ النَّهمِ  
والنفسُ كالطفلٍ إن تُهمله شَبَّ على حبِ الرضاعِ وإن تفضمه ينفطمِ  
فاصرفِ هواها وحاذرِ أن تُؤليَهُ إن الهوى ما توَلَّى يُصمِّمُ أو يصمِ  
وراعها وهي في الأعمالِ سائمةٌ وإن هي استحلَّتِ المرعى فلا تُسيمِ  
كم حسنتُ لذةً للمرءِ قاتلةً من حيث لم يدرِ أنّ السمِ في الدسمِ  
واخشِ الدسائسِ من جوعٍ ومن شبعٍ فرب مخرصةٍ شر من التخيمِ  
واستفرغِ الدمعِ من عينٍ قد امتلأتُ من المحارمِ والزُّمِ حميةَ الندمِ  
وخالفِ النفسِ والشيطانِ واعصِهما وإن هما محضاكِ النصحِ فاتَّهمِ  
ولا تطعِ منهما خصماً ولا حكماً فأنتِ تعرفُ كيدَ الخصمِ والحكمِ  
أستغفرُ اللهَ من قولٍ بلا عملٍ لقد نسبْتُ به نسلأ لذي عُقمِ  
أمرتُك الخيرَ لكنْ ما انتمرتُ به وما استقمْتُ فما قولى لك استقمِ  
ولا تزودتُ قبل الموتِ نافلةً ولم أصلِ سوى فرضٍ ولم اصمِ  
ظلمتُ سنَّةً منْ أحيا الظلامِ إلى إن اشتكتُ قدماهِ الضرِّ من ورمِ  
وشدَّ من سغبِ أحشاءه وطوى تحتِ الحجارةِ كئشاً مترفِ الأدمِ  
وراودتهِ الجبالُ الشُّمِ من ذهبٍ عن نفسه فأراها أيما شممِ  
وأكدتُ زهده فيها ضرورتهِ إنَّ الضرورةَ لا تدعو على العصمِ  
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةً منْ لولاه لم تُخرجِ الدنيا من العدمِ  
محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عُربٍ ومنْ عجمِ  
نبينا الأمرُ الناهي فلا أحدٌ أبرَّ في قولٍ لا منه ولا نعمِ

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هولٍ من الأهوال مقتحم  
دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبلٍ غير منفصم  
فاق النبيين في خُلُقٍ وفي خُلُقٍ ولم يدانوه في علمٍ ولا كرم  
وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرماً من البحر أو رشفاً من الدميم  
واقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم  
فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً باري النسم  
منزلة عن شريكٍ في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم  
دع ما ادعته النصارى في نبينهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحكم  
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم  
فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيعرب عنه ناطقٌ بفم  
لو ناسبت قدره آياته عظماً أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم  
لم يمتحننا بما تعيا العقولُ به حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهـم  
أعيا الورى فهم معناه فليس يرى في القرب والبعد فيه غير مُنْفَحِم  
كالشمس تظهر للعينين من بُعدٍ صغيرة وتكُلُّ الطرف من أمم  
وكيف يُدرك في الدنيا حقيقته قومٌ نيامٌ تسلوا عنه بالخأم  
فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ وأنه خيرُ خلق الله كلهم  
وكلُّ أي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم  
فإنه شمسٌ فضلٍ هم كواكبها يُظهِرُنْ أنوارها للناس في الظلم  
أكرم بخلق نبي زانه خُلُقٌ بالحسن مشتملٍ بالبشر متسم  
كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ والبحر في كرمٍ والدهر في همم  
كانه وهو فردٌ من جلالته في عسكرٍ حين تلقاه وفي حشم  
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدفٍ من معدني منطوقٍ منه ومُبْتَسِم  
لا طيب يعدلُ ثرباً ضم أعظمه طوبى لمننتشقي منه وملتئمعليه وسلم  
أبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم  
يوم تفرس فيه الفرس أنهم قد أذروا بحلول البؤس والنقم  
وبات إيوان كسرى وهو منصدعٌ كشملي أصحاب كسرى غير ملتئم  
والنار خامدة الأنفاس من أسفٍ عليه والنهر ساهي العين من سدم  
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ورُدَّ واردها بالغيط حين ظمي  
كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنأ وبالماء ما بالنار من ضم  
والجن تهتف والأنوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كليم  
عموا وصموا فإعلان البشائر لم تُسمع وبارقة الإنذار لم تُشم  
من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم بأن دينهم المعوج لم يقم  
وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب منقصة وفق ما في الأرض من صنم  
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم من الشياطين يقفو إثر مُنهزم  
كأنهم هرباً أبطال أبرهية أو عسكر بالحصى من راحتيه رُمي

نبدأ به بعد تسييح ببطنهما نبذ المسیح من أحشاء ملتقموسلم  
جاءت لدعوته الأشجارُ ساجدةً تمشى إليه على ساقٍ بلا قدم  
كأنما سَطَرَتْ سَطراً لما كتبتُ فروغها من بديع الخطِّ في اللِّقْمِ  
مثلَ الغمامة أنى سار سائرةً تقيه حرَّ وطيسٍ للهجيرِ حَمَى  
أقسمتُ بالقمر المنشق إنَّ له من قلبه نسبةً مبرورة القسمِ  
وما حوى الغار من خيرٍ ومن كرمٍ وكلُّ طرفٍ من الكفار عنه عى  
فالصِّدْقُ في الغار والصِّدِّيقُ لم يَرِما وهم يقولون ما بالغار من أرم  
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم  
وقايةُ الله أغنت عن مضاعفةٍ من الدروع وعن عالٍ من الأطمِ  
ما سامنى الدهرُ ضيماً واستجرتُ به إلا ونلتُ جواراً منه لم يُضَمِ  
ولا التمسْتُ غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلمِ  
لا تُنكر الوحي من رؤياه إنَّ له قلباً إذا نامت العينان لم يَنَمِ  
وذاك حين بلوغٍ من نبوته فليس يُنكرُ فيه حالٌ مُحْتَلَمِ